معجزة النبي صلى الله عليه وسلم
في حب الصحابة له وبواعثه

لفضيلة الشيخ عبد المعز عبد الستار
رئيس توجيه العلوم الشرعية سابقاً
وعضو مجلس إدارة مركز بحوث السنة والسيرة النبوية
جامعة قطـر

مجلة مركز بحوث السنة والسيرة
العدد الثاني - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

٢٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

المعجـــزة :

عرَّفها العلماء بأنها الأمر الخارق للعادة الذي يظهره الله تعالى على يد مدعي النبوة كدليل على صدقه قائم مقام قوله سبحانه «صدق عبدي في كل ما يبلغ عني» ، وفرقوا بينها وبين الكرامة بأن الكرامة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد إنسان صالح لا يدعي النبوة تكريما له أو تنْويها بفضله .

والمعجزات التي أيد الله بها رسله كثيرة متنوعة منها معجزات مادية حسية ومنها معجزات أدبية معنوية .

فمن المعجـزات المـادية السـابقة للأنبياء ناقة صالح وعصا موسى وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى لعيسىٰ . . . الخ .

وقد أيد الله نبينا محمداً ﷺ بمعجزات كثيرة مادية ومعنوية :

فمن المعجزات المادية تكثير الطعام بدعائه ونبع الماء من بين أصابعه ونصره بالـرعب وإنبـاؤه بالغيب . . . الـخ . مما ثبت بالتـواتـر أو بما لا يقبل الشك واستفاضت به كتب الحديث والسير .

ومن المعجزات الأدبية التي تلزم العقل وتهدي للحق وتقوم بذاتها آية على صدقه ﷺ هذا القرآن العظيم وما تضمنه من حقائق العلم وأنباء الغيب وما أثر في نفوس عباد الصنم ورعاة الغنم وأغفال الأمم فكون منهم خير أمة أخرجت للناس .

وقد قال ﷺ ما من نبي من الأنبياء قبلي إلا أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي وإني لارجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة(١) .

وهو ﷺ حقيق بأن يكون أكثرهم تابعا يوم القيامة بسبب أن معجزته باقية وحي إلهي يخاطب العقل ويلهم النفس في كل وقت وحين ، فهو أبدا قائل صدق وشاهد حق وهاد إلى رشد «فيه نبأ من قبلكم وخير من بعدكم وحكم ما بينكم ، وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه(٢) .

أما المعجزات المادية فلا تلزم إلا من رآها وقد لا يدوم أثرها عنده ويذهب تأثيرها بعد حين وهؤلاء قوم موسى الذين فرق الله لهم البحر وأنجاهم وأغرق آل فرعون وهم ينظرون ما إن جاوز بهم موسى البحر ومروا على قوم يعكفون على أصنام لهم حتى (قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم ألهه)(٣) .

وكذلك عيسى عليه السلام الذي رآه أتباعه وأنصاره يبرىء الأكمة والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله ما إن قبض عليه اليهود واقتادوه إلى دار الإمارة ليحاكم حتى أنكره أعز الناس عليه وأحبهم إليه وآثرهم عنده وانتفى منه انتفاء تاما .

أما نبينا محمد ﷺ ومعجزته الأدبية والبيانية الكبرى هي القرآن فقد آمن له أصحابه واطمأنت قلوبهم بالإيمان وعرضوا على الفتنة والعذاب فما بدلوا تبديلا .

وسر ذلك أن المعجزة الأدبية لها سلطان على العقل والقلب معا ولها سريان في النفس واتصال بالروح وانفعال بالوجدان فمن ثم كانت أبقى أثراً وأطول عمرا من معجزة مادية تسترهب يوما أو تعجب ثم تمسى خبرا في التاريخ .

ومن معجزات النبي ﷺ الأدبية غير القرآن هدايتُه لقوم ما أتاهم من نذير قبله على ما بهم من شموخ على الحق وشرود عن الهدى واستكبار في الأرض وعناد وظلم وجاهلية وقسوة فكون منهم خير أمة (يهدون بالحق وبه يعدلون) .

إنها معجزة تدل على قدرة خارقة وعناية إلهية بالنبي ﷺ لا ترى الأعين حقيقتها ولكن تلمح آثارها في هذا التحول إلى الهدى والارتقاء إلى الأعلى الذي

أصـابته هذه الأمة على يد محمد ﷺ سيد الهداة وإمام المرسلين والذي أصبح بواقعه دليلا على صدق نبوته كأنه معجزة مادية من هذه المعجزات التي يقيم الله بها البرهان على أن ما جاء به نبيه الحق ويرحم الله الشاعر محمود غنيم إذ يقول :

يامن تريد من المختار معجزة يكفيه شعب من الأجداث أحياه

حب الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم

ومن هذه المعجزات الخارقة الدالة على صدقه ﷺ وإن لم يقع التحدي بها حب الصحـابة للنبي ﷺ فقد أحبوه وعظموه وعزروه ونصروه وقدموه على أعز عزيز لديهم من أموالهم وأهليهم وأولادهم وأنفسهم وأحلوه في قلوبهم منزلة عالية رفيعة لم تُعرف لإنسان في الوجود بعد عداوة وحقد واحتقار وصدٍّ مما يعتبر آية باهرة دالة على صدقه ﷺ لم تقع لنبي قبله أيده الله بها وجعلها من أعلام نبوته ودليلا على صدق رسالته .

لقد أحب الصحابة النبي ﷺ حبا أحلوه به منزلة فوق الروح ومهج القلوب ونور العيون وفدوه وبذلوا له أنفسهم وأموالهم على نحو خارق للعادة لم يعرف لزعيم أو عظيم أو مصلح ممن حفل بهم تأريخ البشرية وروى في ذلك المحدثون وأهـل السـير والأخبار عجائب تند عن التصور والتصديق لولا أن صحت بها الأخبار واستفاضت الآثار مما لا يسع عاقلا أن يجادل فيها .

نماذج من حب الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم

١ - فمن ذلك ما روى البخاري وأهل السير أن رسول ﷺ بعث عشرة عينا أمر عليهم عاصم بن ثابت حتى إذا كانـوا بين عسفان ومكة ذَكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا إليهم بقريب من مائة رجل رام فأحاطوا بهم

ورمـوهم بالنبل فقتلوا عاصما وسبعة معه وانطلقوا باثنين خبيب بن عدي وزيد بن الدثنه فباعوهما بمكة فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبا وكان خبيب قتل الحارث يوم بدر فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم دعوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين وقال والله لولا أن يحسبوا أن ما بي جزع لزدت اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا وقال :

ولست أبالي حين أقتل مسلما — على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الأله وإن يشأ — يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام إليه أبو سروعة بن الحارث فقتله(٤) .

قال سعد بن عامر بن حذيم شهدت مصرع خبيب وقد بضعت قريش لحمه ثم جعلوه على جذعه فقالوا أتحب أن محمدا مكانك فقال والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمدا شيك بشوكة ثم نادى يامحمد ؟

إنه قطعا لم يناد محمداً ليستغيث به بالغيب فقد علمه محمد ﷺ إذا سألت فاسـأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ولكنـه ناداه شوقـا إليه وحبـالـه وتحديا للمشركين وتحقيراً للذين حصرت صدورهم بمحمد ودعوته والمؤمنين به وصبروهم للقتل وقطعوا لحمه وصلبوه (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) .

فلنقارن هذا الحب الخارق المحب الصادق بما وقع لرجل من حواري المسيح (ع) اسمه سمعان كان من أحب أتباعه وآثر تلاميذه عنده وأصلبهم عودا وإيمانا حتى سماه المسيح بطرس (أي الصخرة) قال له المسيح (ع) كما جاء في إنجيل لوقا إصحاح٢٢ .

(سمعان سمعان هو ذا الشيطان طلبكم ليغربلكم كالحنطة ولكني طلبت

من أجلك لكي لا يفنى إيمانك وأنت متى رجعت ثبت اخوانك .

فقال له يارب إني مستعد أن أمضي معك حتى إلى السجن وإلى الموت فقال له يابطرس لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات أنك تعرفني) .

وصدقت نبوءة المسيح في (الصخرة) وفي أقوى رجاله الذي دعا له وطلب من أجله ألا يفنى إيمانه ليثبت أخوته .

صدقت نبوءة المسيح في (بطرس الصخرة) فأنكر معرفته وصلته بالمسيح قبل أن يصيح الديك ، وصدقت في يهوذا تلميذه الذي خانه ودل عليه اليهود .

فقد جاء في نص الأصحاح ٢٢ أن يهوذا أحد الحواريين الاثنى عشر وهم صفوة تلاميذ المسيح ومحبيه اتفق مع رؤساء الكهنة واليهود أن يدلهم على المسيح ويسلمه إليهم مقابل (فضة) ودلهم عليه (فأخذوه وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة) .

«وأما بطرس (الصخرة) فتبعه من بعيد ، ولما أضرموا النار في وسط الدار ليستدفئوا جلس بطرس بينهم . فرأته جارية جالسا فتفرست فيه وقالت وهذا كان معه فأنكره قائلا لست أعرفه يا امرأة .

ورآه آخر وقال وأنت فقال بطرس ياإنسان لست أنا .

وبعد ساعة أكد آخر قائلا بالحق إن هذا أيضا كان معه لأنه جليلي فقال بطرس ياإنسان لست أعرف ما نقول .

وفي الحال صاح الديك فالتفت الرب (المسيح) ونظر إلى بطرس فتذكر بطرس كلام الرب وكيف قال له إنك قبل أن يصيح تنكرني ثلاث مرات . . . فخرج بطرس وبكى بكاء مرا» .

يارحمة الله للمسيح أسلمه أحد حوارييه وخانه وباعه بثمن بخس وأنكره أعزهم عليه وأقواهم عنده وأحبهم إليه هذا هو بطرس الصخرة أصلب حواري

المسيح عوداً وأشدهم له حباً أنكر معرفته له وصلته به وتبرأ منه ثلاث مرات في مجلس واحد وهو الذي عاين عظمته وأطال صحبته ورآه يبرىء الأكمه والأبرصَ ويحيي الموتى وهو الذى أعلن للمسيح أنه مستعد في سبيله لأن يضحي بكل شيء ويتحمل السجن بل الموت من أجله .

تبخر كل ذلك الكلام وانهارت الصخرة لأول ما دخلت التجربة ومرت بالامتحان .

أما أصحاب محمد ﷺ الذين آمنوا به وبرسالته فقد أدركوا قيمته وفضله وما أتم الله عليهم من النعمة به فأحبوه حبا لم يعرف لأحد في العالمين راع العدو قبل الصديق وشهد به الجميع وحسبهم موقف خبيب هذا .

٢ - وروي ابن هشام في سيرته أن قريشا أرسلت عروة بن مسعود الثقفي يوم الحديبية إلى رسول الله ﷺ ليرهبه ويقنعه بالعودة إلى المدينة وعدم دخول مكة فكان مما قال له يا محمد جمعت أوباش الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها ؟ .

إنها قريش قد خرجت في العوذ المطافيل قد لبسوا جلد النمور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً .

فقال له أبو بكر أنحن ننكشف عنه وقال له كلمة شديدة .

فقال من هذا يامحمد قال هذا ابن أبي قحافة قال عروة أما والله لولا يد كانت لك عندي ما كافأتك بها ولكن هذه بها .

ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله ﷺ بيده وهو يكلمه والمغيرة بن شعبة الثقفي واقف على رأس رسول ﷺ في الحديد فجعل يقرع يده إذا تناول لحيته ويقول اكفف يدك قبل ألا تصل إليك فيقول عروة ما أفظك وما أغلظك .

ثم سأل رسول الله ﷺ من هذا يامحمد قال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة

قال أي غدر وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس (وكان المغيرة قتل ثلاثة عشر رجلا من بني مالك بن ثقيف فتهايج الحيان بنو مالك ورهط المغيرة فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية وأصلح بينهما) .

وقد أقنع رسول لله ﷺ عروة بأنه لم يأت يريد حربا .

ورجع عروة إلى قريش وقد رأى ما يصنع الصحابة برسول الله ﷺ لا يتوضأ ألا ابتـدروا وَضوءه ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه وتقاسموه .

فقال يامعشر قريش إني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا فروا رأيكم .

هذا قول عروة بن مسعود ورأيه بعد ما رأى بعينه وأدرك بنفسه وحسه رأي قوما لا يسلمون النبي ﷺ إلى شيء أبداً وكان يقول للنبي ﷺ أول الأمر «لقد خرجت قريش بالعوذ المطافيل وكأني بهؤلاء ينكشفون عنك غداً» .

إنه حب لله لا يقوم على رغب في دنيا أو رهب فلو رغب المغيرة لكان أولى بحبه وولائه الرجل الذي تحمل عنه ثلاث عشرة دية وحقن دماء قومه (عروة بن مسعود) .

لقد ارتفعت الهمم وعلت المقاييس والقيم ووجد هؤلاء بمحمد ﷺ النور الذي يهديهم والروح الذي يحييهم والقلب الكبير الذي يحنو عليهم ويسعهم برا وهدى وسدادا ورشدا ورفعة ومجدا «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم» .

لقـد وجدوا فيه القائد الذي يرجونه والأمل الذي ينشدونه ليـ رجهم من الظلمات إلى النور وليحقق لهم سعادة الدنيا والآخرة (يأمرهم بالمعروف وينهاهم

عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) فلا جرم أن يحبوه ويفتدوه ويؤثروه على أموالهم وأولادهم بل وأنفسهم .

٣ - وروى ابن هشام أن النبي ﷺ قال يوم أحد من ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع أفي الاحياء هو أم في الأموات فقال محمد بن مسلمة أنا يارسول الله فنظر فوجده جريحا في القتلى وبه رمق قال فقلت له إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم الأموات قال بل في الأموات فأبلغ رسول الله عني السلام وقل له إن سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خير ما جزي نبيا عن أمته .

وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم إنه لا عذر لكم بين يدي الله إن خلص إلى نبيكم (أصابه أذى) وفيكم عين تطرف .

هذا أحد أصحاب رسول الله ﷺ الذين قتلوا معه وفي سبيل رسالته يوصي وهو في النزع الأخير لا ببناته اللاتي يتمن من بعده ولا بزوجته وأهله وإنما يوصي قومه بالمحاماة والدفاع عن نبيه إلى الموت .

أفسحر هذا ؟

إنه لم ير محمدا يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى مثلما فعل المسيح .

ولكنه رأى محمداً يحيى القلوب وينير العقول ويهدي للتي هي أقوم فأحبه حبه للحياة النبيلة والمثل العالية الرفيعة والفطر السليمة التي تؤثر الحق وتدرك قيمته وتحيا له وتموت في سبيله .

وقد كان هذا الحب والتقدير روحا ساريا في الأمة يشمل الرجال والنساء بل والصبيان سواء .

٤ - روى ابن هشام أيضا وأهل السير أن امرأة من بني دينار أصيب زوجها

وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ يوم أحد فلما نعوا إليها قالت فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا خيرا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين قالت أروني حتى أنظر إليه فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل (أي صغيرة هيِّنة) .

أفسحر هذا ؟

امرأة تفقد زوجها وأخاها وأباها مرة واحدة في يوم واحد ثم لا تبالي بكل ذلك ولا تسأل إلا عن رسول الله ﷺ فإذا أخبرت بسلامته لم يكفها ذلك وتقول أروني حتى أنظر إليه ليطمئن قلبها وتتأكد من سلامته فإذا اطمأنت عليه تقول كل مصيبة بعدك جلل!! أو لو كانت في الزوج والأب والأخ ؟ واستأصلت حماة الدار معا ؟ هل يفسر هذا الحب إلا أنه معجزة وآية على نبوة محمد ﷺ وصدقه . لقد شمل هذا الحب الصغار والولدان مثلما شمل الرجال والنساء جميعاً .

٥ - روى البخاري ومسلم وأصحاب السير عن عبد الرحمن بن عوف قال إني لواقف في الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن فكأني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سرا من صاحبه ياعم دلني على أبي جهل فقلت وما تصنع به فقال بلغني أنه كان شديد الأذى لرسول الله ﷺ وقد عاهدت ربي على أن أقتله أو أموت دونه وقال لي الآخر مثله قال فما سرني أني بين رجلين مكانهما فأشرت لهما إليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى قتلاه .

فتيان صغيران لم يملأ عين ابن عوف حين اكتنفاه أولاً وود لو كان بين رجلين جلدين أظلع منهما يقوى بهما ويمتنع ولكنه سرعان ما عرف قدرهما وملأ عينه وقلبه وما سره أن يكون بين رجلين مكانهما بعد ما رأى من آثار

صدقهما وبطولتهما : ما الذي أخرجهما ؟ وما الذي حملها على ما صنعا ؟

إنه الإيمان والحب والإعزاز للنبي ﷺ فقد كان بلغهما أنه كان شديد الأذى للنبي ﷺ فقررا أن يثأرا له وأن يزيحا العقبة التي تقف في طريقه وصدقا الله فصدقهما الله .

٦ - وروى البخاري في الأدب المفرد عن القاسم بن محمد أن رجلا من أصحاب محمد ﷺ ذهب بصره فعادوه فقال كنت أريدهما لأنظر إلى النبي ﷺ فأما إذ قبض النبي ﷺ فوالله ما يسرني أن ما بهما بظبي من ظباء تبالة .

إن الرجل ليحب النبي ﷺ أكثر من عينيه وإنما كان يحب سلامة عينيه لينظر إلى النبي ﷺ فيستمتع بكل ما في الوجود وأعز ما في الوجود فأما إذ قضي النبي ﷺ نحبه فلم تعد للرجل حاجة إليهما فكل منظر بعده لا يصبي ولا يسبي ولا يضيء المكان المظلم في قلبه .

إن ما أوردنا أمثلة يسيرة ونماذج قليلة مما حَفلت به كتب الحديث والسيرة عن حب الصحابه لمحمد ﷺ مما لم يعرف مثله لعظيم في التاريخ البشري كله من الأنبياء أو المصلحين ومما يعتبر أمراً خارقا للعادة يصلح أن يقوم دليلاً على نبوته وصدقه ﷺ ويستحق أن يكون محل دراسة تثري الفكر الإنساني والإسلامي وتهديه إلى صراط مستقيم وسنحاول في هذا البحث الكشف عن مسوغات هذا الحب وبواعثه التي تقوم هي الأخرى دليلا ومعجزة للنبي ﷺ .

المعجـزة
في بواعث هذا الحب

الحب أصله الود وميل القلب وانعطافه نحو المحبوب ، وإنما يقع هذا الميل والانجذاب لمشاكلة لطيفة بين المحب وحبيبه تؤلف بينهما على نحو قد تدق معرفة

أسبابه على الفهم وموازين الحكم ، ولكنها قائمة لازمة وإن استسرت على العقل أو البيان .

والمعروف عند العلماء ومما ثبت بالاستقراء أن المرء يحب الشخص أو الشيء لصفات وكمالات فيه ذاتية أو متعدية .

١ - فهو إما أن يحبه لكماله في ذاته .

٢ - وإما أن يحبه لنفع فيه يعود على غيره .

٣ - وإما أن يحبه لنفع فيه يعود على شخصه هو (المحب) .

٤ - وإما أن يحبه لهذه الأمور الثلاثة جميعاً (لكمال ذاته ونفع غيره ومنفعته الشخصية منه) .

والنبي ﷺ يستحق الحب ويستأهله بكل مقياس من هذه المقاييس منفردة أومجتمعة . ولقد كان هذا الحب المعجز له ﷺ ثمرة لهذا الكمال الإنساني المعجز فيه .

فهو يستحق أن أحبه لكمال ذاته المعجز .

ويستحق أن أحبه لفضله على العالمين المعجز .

ويستحق أن أحبه لفضله عليَّ إذ هداني الله بفضله إلى صراط مستقيم دينا قيما . وسنتحدث عن هذه البواعث المعجزة للحب المعجز .

الباعث الأول

حبه صلى الله عليه وسلم لكمال ذاته

قسم العلماء الكمالات الإنسانية إلى ذاتية وعرضية .

فالعرضية مثل الكمالات الخِلْقية كالجمال وصحة البدن وإنما كانت عرضية لأنها عرضة للزوال وليست من عمل الإنسان . فلذلك لا يقع بها التناصل .

ومثلها الاضافية كالحسب والنسب .

والخارجية كوفرة المال وسعة السلطان لأنها كذلك عرضة للزوال . وربما لم تكن من عمل الإنسان .

أما الذاتية فهي الكمالات النفسية كالعفة والشجاعة والعدل والصدق فإنها ملكات راسخة في النفس وخلق يصدر عنها الأعمال بلا تكلف .

وهذه الكمالات الذاتية النفسية هي التي يقع بها التفاضل بين الناس ويثبت الكرم فإنها من خصال البر والتقوى ومكارم الأخلاق ورأسها الأيمان .

وقد استولى النبي ﷺ منها على الأمد وارتقى فيها الذروة التي لم يشاركه فيها أحد بجانب ما اجتمع له كذلك من الكمالات الإنسانية الأخرى العرضية .

وأول ما اجتمع له من هذا الكمال الذاتي المطلق هو الصدق في قوله وعمله وسلوكه واعتقاده وظاهره وباطنه وسائر ما تعلق به من الفضائل العليا كالتواضع والرفق وحسن الخلق والبر بالخلق والتجرد للحق .

الصـــدق

والصدق : هو أعظم ما تحتاج إليه البشرية فإنما شقيت بالكذب والنفاق ومخالفة القول العمل وقيام أدعياء كذبة يقولون مالا يفعلون .

ذلك بأن الحلال والحرام والخير والشر والخبيث والطيب والحق والباطل وسائر هذه الأضداد والمتقابلات معروفة منذ الأزل وإنما تحتاج إلى من يودعها الصدق ويبعثها في الواقع خلقا وعملا وحياة فاضلة تتراءى للناس في سلوكه وقوله وعمله وتقع منهم موقع الأسوة الحسنة تحبب إليهم الإيمان وتكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان .

وقد كان نبينا محمد ﷺ هو المثل الأعلى لهذا الصدق في كل ما دعا إليه وعمل

به . قال عمرو بن العاص لجيفر وعبد ابني الجلندي ملكي عمان لما سألاه ما بالك كنت شديد النقمة والسطوة على محمد ودينه واليوم تدعو إليه ؟ وكنت تقول عنه ساحر كذاب .

قال عمرو والله لقد دلني على صدق هذا النبي أنه لم يأمر بشيء إلا كان أول آخذ به ولم ينه عن شيء إلا كان أول تارك له ولا يستطيع ذو عقل أن يقول عن شيء أمر به ليته نهى عنه ولا عن شيء نهى عنه ليته أمر به إن كل ذلك منه إلا على مقتضى العقل ومنتهى ما يرجو أهل البصر) .

ولا جرم أن يحبه عمرو وأن يؤمن به وأن يقول ما ملأت عيني من رسول الله ﷺ حياء منذ أسلمت . وصدق الله العظيم (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) .

لقد كان رسول الله ﷺ مثلا للصدق في كل ما دعا إليه من الإيمان والطاعة والعفة والشجاعة والعدل والرحمة وسائر خصال الخير والبر والكمال الذاتي الذي يستأهل الحب والتوقير .

أما صدق الإيمان ففي أشد ساعات الهجرة حرجا والمشركون بباب الغار لا يحول بين سيوفهم وبينه إلا خيط العنكبوت نسجته رحمة الله وقد أخذ الحزن والوجل بصاحبه أسى وخَوفاً على النبي ومصير البشرية بعده بقى ﷺ مطمئناً ثابتاً ﴿ يقول لصاحبه لا تحْزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ﴾ .

وفي إحدى الغزوات نام النبي ﷺ تحت شجرة فاستيقظ فوجد سيفه مصلتا بيد أعرابي شهره على عنقه وهو يقول من يمنعك مني يامحمد فقال ﷺ (الله) فسقط السيف من يد الأعرابي فالتقطه النبي ﷺ ثم شهره وقال له وأنت من يمنعك مني قال كن خير آخذ يامحمد فعفا عنه . ولما نزل قول الله عز وجل

﴿ ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ سرح رسول الله ﷺ الحرس الذين كانوا تطوعوا لحراسته ثقة بحماية الله وعصمته حتى قال بعضهم لو كان النبي كاذبا على أحد ما كذب على نفسه أو دلاها بغرور .

وأما الصدق في الطاعة فقد كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه فإذا قيل له أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال ﴿ أفلا أكون عبدا شكوراً ﴾ .

وقد يصبح فلا يجد في بيته ما يطعم فيقول «إذاً فإني صائم» أتراه يبادر الضيق بالفقد أن يلم به أو يرين على قلبه أم يبادر اليوم فيحوله طاعة لربه أم يعلمنا أن نكون فوق ضرورات البطن وحكم الشهوة وأن ننتهز الفرصة لنفلت منها فنحول الضيق إلى سعة والضر إلى منفعة فنستعلي على حكم البطن وذل الحاجة ونصدق الله ونرضى بقضاه .

أما الشجاعة فقد قال علي رضى الله عنه البطل الكرار كنا إذا اشتد البأس وحميت الحرب واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه .

ويوم حنين إذ غر المسلمين أنفسهم وأعجبتهم كثرتهم فلم تغن عنهم شيئاً وولوا مدبرين اندفع النبي ﷺ بفرسه صوب المشركين في اتجاه مضاد يتحدى بنفسه وهو يرتجز ويقول « أنا النبي لا كذب » أنا ابن عبد المطلب إلى عباد الله .

فلما رآه المسلمون ثابوا إليه واجتمعوا حوله ثم اندفعوا باسم الله وفتح عليهم وانتصروا ولولا ثبات النبي لاستمرت الهزيمة وتغير وجه التاريخ .

أما العدل فقد كان ﷺ منصفاً من نفسه يقدم منها الأسوة الحسنة لأصحابه ، جاءه دائن يوما يتقاضى دينه فأغلظ له وتطاول عليه وقال له إنكم

يابني عبد المطلب قوم مطل ولم يكن موعد الدين قد حل فهمَّ بعض الصحابة أن يوقع به فقال له النبي ﷺ (قد كنت أنا وهو أحوج إلى غير ذلك منك تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي) وقضى للرجل دينه وزاده ليجزيه مقابل ما روعه أصحابه . فلم يسع الرجل إلا أنْ يسلم .

كمال ذاتي من العدل والفضل تفرد به فكيف لا يحبه كل من سمع به ويقدره ؟

وكيف وقد أدبه ربه وأنزل عليه ﴿ كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلو اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ .

لقد كان ﷺ قمَّة الكمال الذاتي في العدل والفضل وتكامل الشخصية حتى جاء ذلك في وصفه على لسان العدو قبل الصديق حتى قال أبو سفيان عنه لما علم بأنه تزوج ابنته أم حبيبة بعد ما مات عنها زوجها وهي مهاجرة بالحبشة قال هو الفحل لا يجدع أنْفُه أي هو الكفء الكريم العظيم لا يستطيع أحد أن يقدح في شخصيته أو يناله بتجريح .

الأمـانة :

لقد اجتمعت له ﷺ سائر الكمالات والفضائل النفسية التي اعتبرها الفلاسفة والحكماء أصول الفضائل كلها من الصدق والشجاعة والعدل والعفة والأمانة ما لم يجتمع لغيره فكيف لا يحبونه ولا يوقرونه وإن خالفوا دينه وخالف هو شركهم وجاهليتهم .

لقد كان مستودع أماناتهم ونفائسهم وموضع ثقتهم لا يجدون آمن منه على ودائعهم وأموالهم وهو بمكة وقد كان أحق بها وأهلها إذ استبقى عليا عند هجرته ليرد الأمانات إلى أهلها المشركين(٥) .

وكما اجتمعت له ﷺ الكمالات الذاتية من الصدق والأمانة والشجاعة والعفة والعدل اجتمعت له كذلك الكمالات العرضية الخِلْقِيه والإضافية والخارجية من جمال الخلق وقوة البدن وشرف النسب وتكميل الله له ﴿ ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلاً فأغنى ﴾(٦) .

فقد كمله الله عز وجل وتكفل له بملء الفراغ الإنساني والضعف البشري الذي أحاط بنشأته من أول يوم من فقد الأب وفقد العلم وفقد المال فآواه وأغناه وهداه .

وقد ظهر هذا العلم والحلم في الامتياز الذي عرف به منذ نشأته حتى كان يسمى في قومه بالأمين وفي موقفه الرائع من قومه لما اختلفوا على وضع الحجر الأسود(٧) عند بناء الكعبة كل قبيلة تريد أن تظفر بشرف وضعه ولج بهم حتى كادوا أن يقتتلوا وأخيراً اتفقوا على تحكيم أول داخل البيت فكان هو محمداً ﷺ فبسط ثوبه ووضع الحجر فوقه وأمر كل قبيلة أن تأخذ بطرف ورفعوا الحجر حتى إذا انتهى إلى مكانه أمسك بالحجر وسحبوا الثوب وانطوى معه الخلاف والخصام .

فكرة لو ألفت لجنة من عباقرة قريش أو العالم ما اهتدت لمثلها ولكنه هدى الله الذي أمد به محمداً ﷺ وأعده ليكون به للعالمين هدى ورحمة

وكفاءة وامتياز أهله ليتبوأ المكان الأعلى من تقدير العالم ولَعَلّ هذه القدرة على مواجهة أعضل المشاكل بأيسر الحلول هي التي حملت برنادشو الفيلسوف الانجليزي على أن يقول كلمته المشهورة (ما أحوج العالم اليوم إلى رجل كمحمد يحل مشاكله وهو يشرب فنجانا من القهوة)(٨)!!

إن هذا الكمال الذاتي والامتياز المعجز لمحمد ﷺ كإنسان فاضل سوى يستأهل الحب ويستحق أن يتعلق به عشاق الكمال والجمال والمروءة والصدق

والشجاعة والعدل وقد كان ابن عباس رضى الله عنه يقول «اني لأسمع بالقاضى في بلد يعدل في حكمه فأحبه ويتعلقه قلبي ولعلي لا أقاضى إليه يوما من الدهر»(٩) . لكن الفطر السليمه والأنفس العالية المستقيمة تحب الرفعة والاستقامة وما يشكلها ومن يتلبس بها وشبيه الشيء منجذب إليه كما قيل وإن كل إنسان كامل في ذاته هو محل لأن يحبه الكملة أو محبو الكمال ونبينا محمد ﷺ جدير بأن يحب بهذا الاعتبار كإنسان كامل ﷺ حتى ليؤثر المرء العبودية معه على الحرية مع غيره .

لقد آثر زيد بن حارثة محمدا ﷺ على أبيه وعمه وقومه وآثر أن يكون عبدا عند محمد ﷺ على أن يكون حرا عند أبيه فقد خطف صغيرا وبيع بمكة واشترته السيدة خديجة ووهبته للنبي ﷺ وعلم أبوه بمكانه بعد سنين من البحث عنه فذهب هو وعمه إلى محمد ﷺ وعرضا عليه أن يدفعا له ما يشاء ويسلم إليهما (زيداً) فقال لهما محمد ﷺ أو خيرا من ذلك فقالا له ماذا ؟ قال أدعوه وأخيره فإن اختاركم فهو لكم بدون شيء وإن اختارني فما أنا بالذي يسلم من اختاره فقالا أنصفت وأحسنت فدعا ﷺ زيداً وقال له تعرف هذين قال نعم هذا أبي وهذا عمي فخيره ﷺ فقال ما أنا بالذي اختار عليك أحداً فأخذه النبي ﷺ إلى الكعبة وأعلن للملأ من قريش أشهدكم أن زيدا ابني يرثني وأرثه وسمي من يومها زيد ابن محمد . إنه حب معجز هو أثر لكمال معجز دون شك .

فأي شخصية هذه وأي كمال أحرزته حتى ليؤثر المرء العبودية معه على الحرية والحياة بين أبيه وأمه وعمه وقومه ؟

الباعث الثاني

فضله (ص) على العالمين

وكما يحَب المرء لكمال ذاته وسمو صفاته يحب لنفعه وفضله على غيره .

إن أول درجات الكمال الإنساني أن يكون المرء صالحاً مستقيماً في ذات نفسه ، لكن أعلى درجات هذا الكمال أن يكون المرء صالحا في ذات نفسه مصلحا لغيره كريما برا في ذات نفسه لكن يتعدى كرمه وبره ويصل إلى غيره وكلما كان بره أوسع في الناس مدى وأبعد في العالمين أثراً كان أجدر بحب الناس وتقديرهم وتوقيرهم . فبمقدار فضله على غيره يكون حب الغير له .

وبهذا المقياس الحق نستطيع أن نقول أن النبي ﷺ حقيق بكل إعزاز وحب جدير بكل إعظام وتقدير لأنه كما وصفه ربه ﴿ رحمة للعالمين ﴾ ﴿ عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ فما على وجه الأرض ولا مر في تاريخ البشر إنسان نفع الإنسانية وقدم لها النور الذي أخرجها به من الظلمات مثل محمد ﷺ .

أول المائة الخالدين

لقد ألف رجل أمريكي غير مسلم هو الدكتور مايكل كتابا رتب فيه مائة من عباقرة العالم الذي لهم الفضل الأكبر على البشرية والأثر الأعظم في مجرى التاريخ فجعل أولهم جميعاً (محمدا ﷺ) فهو عنده أول الأوائل وزعيم الزعماء .

ولما عتب عليه قومه كيف يقدمه على المسيح وعلى موسى وعلى الأئمة والملأ من بناة الحضارة وهداة الإنسانية على مدي التاريخ كان جوابه وما ذنبي إذا كنت وضعت مقاييس للكمالات الإنسانية والكفاءة الشخصية فكان محمد أحق بها وأهلها . ومقاييس للبذل والجهد والاحتمال والصبر وسرعة الوصول إلى النصر فكان صاحبها .

ومقاييس لما قدم الإنسان من نفع عام للبشرية فكان محمد أحق بها وأهلها .

ومقاييس لما وضع عن الناس من أصر و أغلال فكان أولها وأولاها .

ومقاييس لما قدم من حلول ووسائل لأصلاح الحياة فكان أولها وأولاها .

ومقاييس للقيادة الراشدة والتجربة الرائدة فكان أولها وأولاها .

الخ ما أجاب به وصدق فيه .

وأنا ما ينقضي عجبي من هذا الرجل الذي اطلع قطعا على شيء يسير من سيرة هذا النبي (وطبعا بلغته الانجليزية) وما أقل ما ينقل إليها وهو حق وما أكثر ما يقدم فيها وهو باطل فكيف اهتدي في وسط هذه الظلمات والمتشابهات إلى مثل هذا الحكم النير الصادق لولا أن نور محمد ﷺ وسناه لا يحجبه مكر ماكر ولا كيد ساحر ولو كان لمستشرق كذوب أو مبشر حقود :

وأقول فكيف لو تعلم العربية واطلع على الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ وسنته وعلى تاريخه وسيرته إذن لعلم أنه بحكمه هذا كان أثبت في الحق قدما وأوثق حكما وما أجدره أن يكون اليوم مسلماً .

« ماذا قدم النبي (ص) للعالم »

لقد جعل هذا الأميركي محمداً ﷺ أول مائة لهم فضل على البشر وقدمه على مكتشفي الكهـربـاء والراديوم والتخدير وعلى مكتشفي الأمراض والميكروبات والعقاقير وعلى الأنبياء والفلاسفة والحكماء والقادة في كل الميادين .

س : فماذا قدم ﷺ للبشرية ليكون أحق بالأولوية والصدارة على العالمين ؟

جـ : الجواب لقد قدم محمد ﷺ ما هو أثمن من الكهرباء والدواء وعافية البدن وما هو أشرف مما ينسب إلى الأنبياء والحكماء وهداة البشر : قدم إلى العالم الحياة والنور .

حياة الضمير ونور الإيمان ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾(١٠) لقد قدم النبي ﷺ للبشرية أصدق تصور لهذا الوجود وأهدى سبيل يوصل للسلام والسعادة في الدنيا قبل الآخرة .

فكان بحق منة الله على المؤمنين ورحمته للعالمين «لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين»(١١) لقد أرسله الله بأمرين لا غنى للبشرية عنهما ولم ينهض أحد غيره بعبئهما .

الهدى والحق : هداية تعمر القلوب وعدالة تسعد الشعوب .

قال تعالى ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾(١٢) .

وقمة الهدى الإيمان قال تعالى ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ وجماع الحق القرآن ، قال تعالى : ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ﴾ .

بالهدى أحكم صياغة الفرد .

وبالحق أحكم بناء المجتمع .

فأنشأ بذلك أفرادا كانوا أئمة ومجتمعا كانوا خير أمة أقاموا حضارة ربانية ومدينة فاضلة لم يرتق إلى تصورها خيال الشعراء وحكم الحكماء مدينة السلام والحب والمرحمة نعم أنشأ المدينة الفاضلة لا التي تخيلها أفلاطون وقسم الناس فيها إلى سادة وعبيد وتشيع فيها فوضى الجنس والفحشاء والمنكر والبغي .

أنشأ « المدينة الفاضلة »

التي أطلق فيها بالإيمان روح الأسرة والحب والأخوة والمساواة فأصبح الكبير

فيهـا أبـا والصغـير أخا والناس جميعا ذوي رحم وصدق فيهم قول الله ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾(١٣) وقول الرسول « ما آمن بالله من بات شبعان وجاره إلى جنبه طاوٍ ، وهو يعلم»(١٤) .

روى البخاري في الأدب المفرد عن عائشة رضى الله عنها أنها كان لها درع قطري فما كانت امرأة تقين بالمدينة (تزين) إلا أرسلت تستعيره .

وعن أم عطية أنها قالت للنبي ﷺ لما أمر النساء أن يحضرن صلاة العيد ويشهـدن الخـير وجمـاعة المسلمين قالت يارسول الله إن إحدانا لا تجد الثوب فقـال ﷺ (لتلبسها أختها من ثيابها)(١٥) وهكذا لم يعد الفقر ولا الفقد عذرا يسقط عنهن صلاة العيد مادام فيهن من تملك فضلا ، وروى المؤرخون وأهل السير أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمل قاضيا في خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه سنتين لم يتقدم إليه اثنان في خصومه فذكر ذلك لأبي بكر رضى الله عنه فقال الحمد لله الذي حاجز بالإيمان والقرآن بين عباده فأنصف بعضهم بعضاً .

ونعـود للسؤال من جديد ماذا قدم محمد ﷺ للعالم من خير وفضل حتى استحق أن يكون أول المائة الأوائل في حياة البشر وأولى بهذا الحب المعجز الفذ .

الهـدى والحـق

ونعـود للجواب فنقول لأنه قدم للعالم الهدى والحق وأصح نظرية للحياة ومنهج للسلوك لا تقاس بها نظرية نيوتن ولا أينشتاين ولا سائر معارف البشر التي غزوا بها الفضاء وأنشأوا بها الالكترونيات المذهله والحضارة المادية الرائعة .

وما قيمة أن يغزو الناس الفضاء وقد عجزوا أن يمشوا على الأرض آمنين .

وما قيمة هذه الاختراعات والألكترونيات التي أترفت الناس وقد أوقفتهم

تحت جدار يريد أن ينقض .

وما قيمة هذا الغنى وهذا الإنتاج إذا امتلأت الأيدي بالمال وخربت القلوب من الهدى والرحمة ؟ لا قيمة لذلك كله إذا فقدت الأنفس زكاتها وتقواها ورشدها . لقد أنشأ محمد ﷺ مدينة بلا جرائم أو مظالم أو ربا أو فحشاء أو منكر مدينه . طهارة وحضارة وجد وعدل أدار المسجد حياتها ونظم أوقاتها فعملت وانتجت واستغنت واستمتعت بالحرية والمساواة والسعة والأمن والتعاون على البر والتقوى بفضل ما قدمه محمد ﷺ من هدي وحق .

« الهدى أولاً »

جاء في خطاب للرئيس مبارك بمجلس محافظي الصندوق الدولي للتنمية الزراعية ١٩٨٣م «ليس من المقبول أن ينفق العالم على التسلح ٦٥٠ مليار دولار في السنة في الوقت الذي يعجز فيه عن توفير الغذاء والحاجات الأساسية لملايين البشر .

إن ما ينفق على إنتاج صاروخ جديد عابر للقارات يكفي :ـ

لغرس ٢٠ مليون شجرة .

أو ري مليون هكتار .

أو إطعام ٦٠٠ ألف طفل .

أو بناء ٦٠ ألف مركز للرعاية الصحية ، أو مدرسة .

ذلك ما يمكن أن يتحقق بما ينفق على صاروخ واحد عابر للقارات أي قذيفة واحدة فكم يمكن أن يتحقق بستمائة وخمسين مليارا ينفقها العالم على السلاح كل عام وهي تزداد عاما بعد عام .

وما منع الناس أن يفعلوا ولديهم كل هذا المال والعلم إلا فقد الهداية

والرشد ؟ وغياب وحي السماء .

إن العالم في حاجة إلى الهداية والرشد قبل حاجته إلى المال والعلم وأكثر من حاجته إلى المال والعلم .

وماذا أغنى العلم والمال عن قوم سفهوا أنفسهم وبطروا معيشتهم وبدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم والعالمين حولهم دار البوار .

من الذي يمسك هذه الأيدي أن تشعل النار في مئات المليارات لتُيتم الأطفال وترمل النساء وتقتل الرجال وتهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد .

أنه محمد ﷺ وحده : دينه والكتاب الذي أنزله عليه هدى ورحمة .

هو الذي يضيء الأنفس من داخلها ويمسكها على فضائلها ويحول بينها وبين أن تتهافت في النار وتبوء بخزي الدنيا وعذاب الآخرة .

فكذلك كان الناس قبل محمد ﷺ كما حدث الله عنهم ﴿ إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ لا ينقذ البشرية غيره .

وقد ضرب النبي ﷺ مثلا لهؤلاء المتهالكين في الشر المصرين على الإثم والعدوان المتباهين بطعن القنا وضرب الرقاب وسفك الدم وقطيعة الرحم والبغي بغير الحق استكبارا في الأرض ومكر السيء وتبديداً للأموال والجهود والأعمار هباء وتبديلا لنعمة الله كفرا ضرب لهم مثلا فقال :

«إنما مثلي ومثل قريش (أي فيما دعاهم إليه من هدى وحق وما أصروا عليه من ضلال وباطل) كمثل رجل استوقد نارا فجعلت هذه الهوام والفراش يتقحمن فيه ويدفعهن ويغلبنه وأنا آخذ بحلاقيم قريش وحُجزهن أن يتهالكوا في النار» .

من لهذه البشرية الضالة والعالم المتهالك في الشر أن يرد له عقله ويهديه سبيله ليأمن من العثار والدمار وينجو من النار ؟ إنه محمد ﷺ ودينه أنقذ الله به العالم

قديما وأخرجهم من الظلمات إلى النور كما قال ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس «إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق العيش إلى سعة الحياة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام» وهو وحده الذي ينقذه حديثاً بعد ما فشلت المذاهب والأمم وأديان الأرض لقد بعث محمد ﷺ لهذا وانبعث المؤمنون به قديماً .

ولقد تم ذلك لا بمكوك الفضاء ولا بأقمار التجسس ولا بمئات المليارات من الدولارات لزرع الدمار في أقطار الأرض ونشر الخراب والرعب لتكون أمة هي أربى من أمة ولكن تم بهداية الله وبالتربية والتزكية ووصل الناس بربهم وغرس التقوى في قلوبهم وهو ما قدمه النبي ﷺ فأمن به فجاج الأرض ووسع به ضيق الرزق وجمع به شتات الخلق فطعم الناس من جوع وأمنوا من خوف (وأصبحت الظعينة تخرج من الحيرة إلى أقصى حجر بالجزيرة لا تخاف إلا الله والذئب على غنمها) وأصبحت الزكاة من بعده تجمع فلا يجدون لها فقيراً ولا مستحقاً لا بين المسلمين ولا بين أهل ذمتهم ومن تحت حكمهم من غير المسلمين .

أهم ما قدم النبي (ص) للعالم

لقد جاهد محمد ﷺ جهادا كبيرا حتى متع الصحابة بهذا الإسلام ومنعوا الدنيا بنعمة الله وعاش حياة لم يذق فيها طعم الراحة ينذر الناس ويهديهم .

حتى أخرجهم من الظلمات إلى النور ،

من الجهل إلى العلم ومن الخوف إلى الأمن .

ومن الفقر إلى الغنى

ومن التفرق إلى الوحدة

ومن العداوة إلى الألفة

ومن الأنانية إلى الايثار

ومن الظلم إلى العدل

ومن الضياع والإهمال إلى أن صاروا أئمة أصحاب رسالة وأمة يهدون بالحق وبه يعدلون لقد قدم لهم الهداية والتربية والعلم والحكمة وأعاد صياغة الإنسان ورده إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها فهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد .

أصح تصور للوجود

لقد قدم لهم أصح نظرية للحياة وتصور لهذا الوجود وأجاب عن الأسئلة الخالدة التي تساءلها الناس عن هذا الخلق عبر القرون .

س - من أين ؟ وإلى أين ؟ ولم ؟

جـ - من الله المبتدا وإلى الله المنتهي ولنعبد الله لا نشرك به أحداً .

١ - من الله . أفي الله شك ؟ أاله مع الله ؟ إنه خالق كل شيء وهو رب العالمين ، إن الله عز وجل أثبت حقيقة في هذا الوجود دل عليها كل موجود ، «أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟» .

وهو نور السموات والأرض ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

٢ - وإلى الله . إليه مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنت تعملون .

﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ الناس ركب سائر فأين إلى أين ؟ ﴿ إلى ربك يومئذ المستقر ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾ .

٣ - ولعبادة الله وتوحيده ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ أي يوحدني ويطيعـون . إن هذه العبودية منك نعمة من الله عليك تورثك عزاً ومجداً وهدى ورشدا وتقتضيك عليها شكرا وحمدا قال تعالى « لئن أشركت ليحبطن

عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ .

من هذا اليقين بالمبتدأ والمنتهى وأن لله الآخرة والأولى « ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى » .

من هذا اليقين الذي انبعثت منه أنوار الهدى وارتبطت به آيات الله قدم النبي ﷺ للعالم أصح وأصدق نظرية للحياة تؤتي كل نفس هداها وتقيم للبشرية منآدها وتخرج الناس من الظلمات إلى النور .

« نظرية الحياة في الاسلام »

تمهيد

كل عمل لنا في الوجود دق أو عظم يبدأ أولا فكرة في العقل ثم يكون إرادة في القلب ثم يتناوله بعد ذلك العزم والتنفيذ .

لو وقع الخطأ في الفكرة وقع الخطأ في العمل جميعا .

مثال ذلك : إذا أردت أن أسافر وعندي أن الطائرة تقوم الساعة الخامسة وحقيقة الأمر أنها تقوم الثالثة أذهب عند الخامسة فأجدها قد طارت وضاع جهدي وفات المراد لأن العمل انبنى على فكرة خاطئة واعتقاد غير صحيح .

من أجل ذلك كان تصحيح الفكرة وسداد النظرة أهم وأول ما ينبغي للمرء ولمسيرته في هذه الحياة وذلك ما قدمه النبي ﷺ للناس فزكى أهدافهم وقوم سلوكهم وجعلهم خير أمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين .

بدأ فصحح نظرة الناس إلى الحياة ووصلهم بالله وقدم إليهم أنقى عقيدة تهديهم وتصلح بالهم وتؤمنهم وتسعد دنياهم وآخرتهم .

إن حياة الناس صورة لما انطبع في قلوبهم من ضلال أو هدى أو رشد أو غي

وإن أعمالهم صورة لما استقر في أنفسهم من نظرة صحيحة أوخاطئة .

ذهبت يوما لصديق لي أزوره فوجدته جالسا في شرفته يقرأ وبين يديه طبق فيه ماء وبعض الحب النثير فقلت له ما هذا هل اشتغلت بتربية الكتاكيت ؟ قال : لا ولكن العصافير تجيء لتشرب فتضع منقارها بين القلة والطبق فيضيق فرفعت القلة لتشرب وقلت أقدم لها بالمرة بعض الحبوب . فسرني ذلك من رقته وذكرت به عدي بن حاتم الطائي الذي كان يلقي السكر وفتات الطعام للنمل بباب خيمته ويقول إنه تحرم بجوارنا .

وذهبت في نفس اليوم إلى صديق آخر أعوده وكان من سراة إخواننا وممن وسع الله عليهم في الرزق فوجدته جالساً في شرفته وعلى بعد منه قفص معلق في نصف منه بعض العصافير وفي نصفه الآخر طبق فيه ماء وبعض الحب النثير فقلت له ماهذا فقال هذه مصيدة يجيء العصفور ليشرب فيقف على هذه العصا فيغلق عليها الباب فآخذها وأنقلها إلى النصف الآخر مع أخواتها . قلت له ثم ؟ فبدأ يقص علي قصة لحم العصافير حين يعمل بالصلصة أو يحمر في السمن ؟ فقلت ياأخي وللعصافير لحم يحمر أو يؤكل ومثلك يفكر في هذا وقد أغناك الله من فضله وأدركت أن الفضائل لا ترجع إلى غنى أو فقر ولكن إلى فكرة ونظرة تستقر في النفس فأما لحقت نظرتها الراحمة الطير في جو السماء فرحمتها أو نظرتها القاسية فقتلتها .

ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة والمعول أولاً وأخيراً على تصحيح الفكرة وسلامة العقيدة والنية .

أصـــول
نظرية الحياة في الاسلام

هذا الكون كله لله هو خالقه ومالكه ورازقه ومدبره لم يخلق هذا الكون نفسه ولم يوجد هكذا صدفه ولكن أوجده الله الخلاق العليم على هذا النحو البديع الحكيم .

والله هو رب العالمين الرحمن الرحيم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وليس رب طائفة من الناس دون طائفة .

والإنسان هو إنسان عين الوجود خلقه الله لعبادته ونفخ فيه من روحه وعلمه الأسماء كلها وأسجد له ملائكته واستخلفه في أرضه وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه . ليس ينحدر عن أميبيا أو سلالة قرود .

والناس جميعاً سواء وإخوة كلهم خلقه وعبيده مفتقرون إليه أكرمهم عنده أتقاهم (كل امرىء بما كسب رهين) (ولا تزر وازرة وزر أخرى) .

وهـذه الحياة الدنيا طريق يقطعه الإنسان إلى حياة أخرى يجزي الله فيها (الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) فهو مسؤول بين يدي الله غدا عن كل ما قدم إن أفلت في الدنيا فلن يفلت في الآخرة ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ .

هذه أصول النظرية التي أقام بها محمد ﷺ منآد البشر وأخرج بها الناس من الـظلمات إلى النور وأجدت على البشرية ما لم تجد نظرية نيوتن في الجاذبية ولا اينشناين في النسبية ولا أي نظرية في العالمين .

إنها أجدت التحول في أعماق النفوس وأقامت الرقابة على الوجدان والسلوك وهدت الناس إلى صراط الله المستقيم فعفوا عند الفتنة وثبتوا عند المحنة وآثروا عند الوجد وصبروا عند الفقد وأصبحت لهم غايات عليا تشدهم وفضائل وآداب

تقيدهم كما قال مرثد بن أبي مرثد لعشيقته بعد ما أسلم لما دعته إلى نفسها يأبى علي الله والإسلام وكما قال أبو خراش الهذلي :

وليس كعهد الدار يا أم مالك ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل
وعاد الفتى كالشيخ ليس بقائل سوى العدل شيئاً فاستراح العواذل

نعم تغير العهد وتغيرت الصورة وتغير الحال وجد شيء جديد يحول بين المرء وقلبه ونزواته وشهواته وظلمه وغشمه ومعصيته لربه!!

دخل شيء جديد يتحكم في ضمير الإنسان ومصيره هو الإيمان .

الإيمان بالله القائم على كل نفس بما كسبت .

والإيمان بلقائه وأنه سيجزي كل نفس بما عملت .

وبين هذين تمضي البشرية في طريقها المستنير إلى الله في خطوات مقيدة بالحق وأشواق عليا إلى الجنة ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصلحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد ﴾ .

أمران هما قطبا الإيمان وسر هداية الإنسان : الإيمان بالله والإيمان بلقائه أي بحسابه وثوابه وعقابه وجنته وناره هذا الإيمان هو الطريقة العملية لإصلاح الحياة ضل عنها الناس حتى هداهم إليها محمد ﷺ فكان بحق رحمة الله للعالمين .

العقيدة في الله

« قبل محمد صلى الله عليه وسلم »

كان الناس قد ضلوا عن الله ونسوه وكانت صورته قبل محمد ﷺ أقبح صورة تناقض العقل والفطرة ولا تثمر في قلوب الناس احتراماً أو خشية فلا تردهم عن

شر ولا تبعثهم إلى خير سواء في ذلك منهم المشركون وأهل الكتاب والفلاسفة المتألهون منهم والملحدون .

(١) أما المشركون فقد هبطوا في تفكيرهم وآدميتهم معا فتصوروا الله عز وجل وثنا أو شبيها ببعض خلقه مما يرجي أو يرهب فتخيلوه في الأحجار والأشجار أو الكواكب أو الدواب وكان أحدهم إذا سافر اتخذ أربعة أحجار نصب أحسنها إلهاً فعبده واتخذ ثلاثة أسافي لقدره فإن لم يجد حجارة في الصحراء جمع كثبة من الرمل ثم احتلب عليها شيئا من اللبن وعجنها ثم عبدها ، وما عسى أن تلهم هذه الأحجار أو الأشجار أو الأبقار أو الكثبان إلا هوان العقل ووهن النفس وضعة الإنسان والحياة ولقد أنقذهم النبي ﷺ من هذا الضلال الكبير .

روى ابن حجر في الإصابة عن قرة بن هبيرة أنه قال للنبي ﷺ «كانت لنا ربات وأرباب نعبدهن من دون الله دعوناهن فلم يجبن وسألناهن فلم يعطين ثم جئناك فهدانا الله بك فقال له النبي ﷺ قد أفلح من رزق لبا نعم ومن لم يرزق العقل شقى وأشرك » «ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق» .

(٢) أما أهل الكتاب وهم اليهود الذين يزعمون أنهم أصحاب توحيد وانخدع الناس بزعمهم . والنصارى الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وإن الله هو المسيح بن مريم ، فقد قدموا كالمشركين أقبح صورة عن الله كانت السبب في صد الناس عن دين الله وكفرهم به ؛ قديما وحديثاً .

أما اليهود فالله عندهم وثن جبان جهول حقود ظلوم وهو إله إسرائيل خاصة اختارهم من بين الشعوب مثلما اختاروه من بين الآلهة ليس هو رب العالمين الرحمن الرحيم الذي وسع كل شيء علماً وأحاط بكل شيء قدرة

وليس كمثله شيء وهو السميع البصير كما عرفه للعالم محمد ﷺ ولكنه في التوراه إله جبان . ونقصد التوراة الموجودة التي كتبها اليهود بأيديهم وقالوا هي من عند الله .

أ - فقد جاء في سفر التكوين من هذه التوراة فـ ٢ أن الله لما أسكن آدم الجنة نهاه عن الأكل من شجرة (المعرفة) فلما أكل منها قال الله في نفسه «هو ذا الإنسان أكل من الشجرة فصار عالما مثلنا والآن عسى أن يمد يده فيأكل من شجرة الحياة فيخلد فطرده الرب من الجنة وحرس شجرة الحياة بلهيب سيف متقلب» حتى لا يشاركه آدم في ملكه ويخلد .

فأين هذه الصورة عن الإله الجبان الجهول وعن آدم البائس الحقير مما قدم محمد ﷺ عن الله الحكيم العليم الذي علم آدم الأسماء كلها لما قالت الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) علمه واستخلفه في أرضه وكرمه وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ولم يخف أن يشركه في ملكه أو يغلبه بعلمه .

إله حسود حقود :

ب - وجاء في سفر التكوين منها فـ١٣ أن الناس بدأوا يكثرون ويتجمعون ويتوحد لسانهم وأخذوا يبنون لهم مدينة وبرجا فنزل الله ليرى المدينة فقال «هؤلاء بنوا مدينة وبرجا والآن عسى ألا يمتنع عليهم شيء يريدونه فبددهم وشردهم وبلبل ألسنتهم على وجه الأرض» .

فأي اله هذا الجبان الحقود الذي يسوؤه أن يصلح أمر بني آدم وأن يبنوا ويعمرو ، ويجتمعوا مخافة أن يخرجوا عن طاعته ويعلنوا العصيان له فبددهم وبلبل ألسنتهم حتى سميت مدينتهم بابل .

وما هذا الإله الحقود الحسود الذي هو صورة من تخيل الوثنيين لآلهة الأثينيين وأهل طروادة والأغريق وصراعهم وتهبيهم ونقمتهم على شعوبهم .

فأين هو من رب محمد رب العالمين الرحمن الحفي بعباده اللطيف بخلقه الـذي يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر والذي كرمهم وحملهم في البر والبحر وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا ؟

إله ظلوم غشوم :

جـ - وجاء في سفر التثنية من هذه التوراة (أنا الرب الهك إله غيور افتقد ذنوب الآباء في الأبناء إلى الجيل العاشر) .

« لا يدخل ابن زنا ملكوت السموات « لا يدخل عموني ولا مؤابي في جماعة الرب لأنهم لم يلقوا بني اسرائيل بالخبز والماء عند خروجهم من مصر .

فأين هذا الإله القاسي الظالم الذي يصوره اليهود والذي يأخذ الابن بجريرة أبيه من إله محمد الذي يقول « لا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى » « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » ؟

تلك صورة الله عند اليهود كما تقدمها التوراة التي كتبوها بأيديهم ، في أول أسفارها أي التي يتفق عليها اليهود والنصارى .

أما النصارى فهم يؤمنون بهذا الاله الذي آمن به اليهود ويزيدون « أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا » .

ويزيدون أن هذا الولد صلب وهو يستغيث بأبيه .

ويزيدون أن هذا الولد مسح عن البشر خطاياهم التي ورثوها من أبيهم آدم

وخطايا كل من أحبه وقدموا أعقد عقيدة وأصعب تصور إذ جعلوا الأب والابن والروح القدس إلها واحدا . سبحانه وتعالى عما يشركون هذه هي الصورة القاتمة القبيحة عن الله رسمها المشركون وأهل الكتاب ونزيد منظرا مضحكا مبكيا قدمته التوراة التي كتبوها بأيديهم وقالت عن الله في سفر التكوين فـ٣٢ ملخصه .

أن الله دخل في صراع مع يعقوب ليلةً إلى طلوع الفجر فغلبه يعقوب فسماه إسرائيل وقال له لا تدعي من بعدُ يعقوب لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت .

فأي إله هذا يؤمن به الناس يرجون رحمته أو يخافون عذابه ؟

لا جرم أن يهون عندهم ولا يحترم وألا يكون له أثر في فعل خير أو ترك شر كأوثان الجاهلية وذلك ما أثبتته التوراة أيضاً ، فقد جاء في سفر المزامير في المزمور ٤٤ من التوراة المزعومة خطاب ودعاء لإمام المغنين والمتقين يعتب على الله ويسأله النصر بكل وقاحة واستكبار قال :

اللهم بآذاننا قد سمعنا آباؤنا أخبرونا أنت بيدك استأصلت الأمم وغرستهم وحطمت شعوبا ومددتهم .

أنت ملكي فأمر بخلاص يعقوب بك ننطح مضايقنا باسمك ندوس القائمين علينا .

لكنك رفضتنا أخجلتنا لا تخرج مع جنودنا جعلتنا كالضأن ذريتنا بين الأمم .

بعت شعبك بغير مال وما ربحت بثمنهم .

هذا كله جاء علينا وما نسينا ولا خنا في عهدك حتى سحقتنا .

إن نسينا اسم الهنا أو بسطنا أيدينا إلى إله غريب أفلا يفحص الله عن هذا ؟

لأننا من أجلك نهات كل يوم (هو السبب) ؟

استيقظ لماذا تتغافى يارب انتبه لا ترفض لماذا تنسى مذلتنا وضيقنا قدم عونا لنا وافدنا .

هذا هو إله اسرائيل وهذا أدب الخطاب معه وهذا دعاء المؤمنين به المفتقرين إليه في أشد ساعات ضيقهم وشدتهم ومذلتهم .

ونقول لهم إذا كفر الناس بمثل هذا الأله وشاع الألحاد والفساد ألا يكون الناس معذورين وتكونون مسؤولين .

لقد غير محمد ﷺ هذه الصورة الشائنه القبيحة التي كتبها أهل الكتاب ، عن الله وقدم الألوهية في حقيقتها المشرقة على أن الله هو رب العالمين الرحمن الرحيم لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة تضاعفها ولا يعجزه شيء وليس كمثله شيء الخلق كلهم عباده وأمرهم جميعا إليه يوم يرجعون إليه (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها) .

اليوم الآخر

كذلك صحح محمد ﷺ عقيدة الجزاء والمسؤولية يوم الدين الذي جحده المشركون وشابههم في جحده اليهود فأما المشركون فأنكروا البعث جملة وقالوا ذلك رجع بعيد .

وأما اليهود فجعلوا الجزاء في الدنيا والثواب أرض فلسطين يعطونها إن أحسنوا ويحرمونها إن أساءوا وحرفوا التوراة وألغوا الآخرة فلا تجد لها ذكرا في أسفارهم ولا أثرا جاء في سفر التثنية :ـ

احفظ فرائضي واعمل بوصاياي كي يعطيك الرب الإله الأرض التي وعد أباءك الخ إلا تحفظ فرائضي وتعمل بوصاياي يطردك الرب من هذه الأرض التي تفيض سمناً وعسلاً . وقد أشبههم النصارى في تحريفه إذ أثبتوا يوماً لا قيمة له فإنهم سينعمون فيه بجوار يسوع وأحضان القديسين بمجرد محبتهم للمسيح ولو

كانت خطاياهم كزبد البحر ومظالمهم تنوء بها الجبال .

أما محمد ﷺ فقد أثبت المسؤولية والجزاء في يوم لا يسأل حميم حميما ولا تجزي نفس عن نفس شيئاً وسنحاسب فيه على مثقال الذرة .

وساق الأدلة العقلية على أنه واقع لا محالة فأنه مقتضى عدل الله وكماله ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق ﴾

وساق الأدلة على إمكان وقوعه ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ . بقياس أولوي لا يجادل فيه إلا من سفه نفسه .

جهاز الايمان

لقد أعاد النبي ﷺ للبشرية الإيمان بالله رب العالمين وبلقائه يوم الدين وأزال الصورة القبيحة المنكرة التي قدمها المشركون واليهود وأشباههم وأعاد للناس الثقة بالله وكمال قدرته وعدله ورحمته ووصل الناس به عن طريق آياته وبيناته والنظر في أنفسهم وفي ملكوت السموات والأرض وبهذا أدار جهاز الإيمان في حياة الناس .

إن صح هذا التعبير - فقويت الأنفس بعد ضعف واستنارت العقول بعد ظلام واطمأنت القلوب بعد قلق واضطراب وارتفعت الجباه وزكت الحياة وأصبح الناس لا يرهبون ولا يرجون إلا الله ولا يتقيدون إلا بالحق وما قدمت نفس لغد .

الباعث الثالث

انتفاع الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم

ولقد كان أول من انتفع بهذا الجهاز (جهاز الإيمان) هم أصحاب رسول الله ﷺ إذ وصل إليهم رسول الله ﷺ نوره وقدم إليهم هدايته حياة وروحا تتراءى في قوله وفعله وتشع في وجدانه وقلبه فذاقوا بفضله حلاوة الإيمان وارتفعوا بهديه إلى ذرى الكمال والإحسان لا يذلون لمخلوق ولا يعولون إلا على الخالق . لا يخافون على رزق فقد فرغ الله من تقديره ولا أجل فقد فرغ من تحديده وإنما أشرك الناس وذلوا بالخوف على هذين .

لا إله إلا الله

لقد رفعهم النبي ﷺ إلى مستوى من الكمال والسمو والاستعلاء على كل عبودية وذل إلا لله عز وجل على نحو لم يؤثر لأمة غير أمته وسلف غير صحابته .

روى مسلم عن ثوبان خادم النبي ﷺ أنه سأله فقال يارسول الله ألست من أهل البيت ؟ فقال له ﷺ أنت من أهل البيت ما لم تقف بباب سدة أو تأتي أميراً فتسأله» .

وروى البخاري عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال له ياابن عم « احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم بأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قدره الله عليك جفت الأقلام وطويت الصحف» .

وعن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله ﷺ على أن نعبد الله ولا نشرك به - وكذا وكذا - وأسر كلمة خفية (وعلى ألا نسأل الناس شيئاً) قال فلقد رأيت

بعضهم ربما سقط السوط من يده وهو على دابته فينزل فيأخذه ولا يسأل أحداً أن يناوله إياه إنه ارتفاع بكرامته عن ذل المسأله وتسام بنفس المؤمن أن ينزل حاجته إلا بالله أو يرغب إلى أحد سواه فإنما أذل الناس الطمع والرغب والرهب لغير الله والتعلق بزينة الحياة الدنيا يريقون في سبيلها ماء الوجه وشرف النفس ولذة الاستعلاء على أغلال العبودية ومنن المخلوقين .

وكما أثر هذا الإيمان ترفعاً وكرامة أثمر كذلك اعتدادا وقوة روى أبو نعيم في الحلية أن عمر رضى الله عنه لما دخل الشام ليعقد الصلح دخل على بعير ذي رحل رث كان يعتقبه هو وغلامه فلقيه المسلمون وقادة الفتح وقالوا يا أمير المؤمنين لو ركبت بروذنا أو فرسا كان ذلك أهيب للعدو وفي صدور القوم وأشبه بمثل أمير المؤمنين فقال لهم خلوا عن راحلتي إنما الأمر ههنا وأشار إلى السماء .

وفي هذه الكلمة العابرة والإشارة الحاسمة كل معاني الإيمان والاعتداد بالله وحده وكل معاني الثقة والتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً .

وهي أثر مما غرس النبي ﷺ في صدور الصفوة من أصحابه أعلنه عمر رضي الله عنه بعد بقوله « إنكم كنتم أذل الناس فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العزة في غيره فلن تعزوا » .

كذلك أثمر هذا الإيمان عفة وتقوى وعدلا وإنصافاً تعجز عن تحقيقه قوانين الأرض ووسائل البشر لأنه يرجع إلى مراقبة الله وحياة الضمير وتقواه وهي القوة الوحيدة التي تحول بين المرء وقلبه وتمنع الجريمة قبل أن تقع .

روى ابن كثير أن النبي ﷺ أرسل عبد الله بن رواحه إلى يهود خيبر ليخرص الثمر ويقدر نصيب اليهود ونصيب المسلمين وقد كان النبي ﷺ شارطهم على نصف الثمر فأراد اليهود كعادتهم أن يرشوه فقال لهم أترشونني يا أعداء الله ؟ والله لأنتم أبغض إلي من القردة والخنازير ولمحمد ﷺ أحب إلي من نفسي التي بين

جنبي ولكن لا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على ألا أعدل لأن الله تعالى يقول ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ .

هذا أثر مما أثمرت تربية محمد ﷺ وما حبب إليهم من خصال الإيمان والهدى والحق عبر عنه ابن رواحه رضى الله عنه في صدق وحب وتقدير بقوله :

أتانا رسول الله يتلو كتابه ... كما انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدي بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

نعم إذا نامت العيون واستراح الخليون كان رسول الله ﷺ الساهر اليقظان الذي يعمل لخير الناس ويمدهم بما يحييهم ويشق لهم الفجر الذي يخرجهم من الظلام المحيط بهم .

لقد غير النبي ﷺ القيم والمثل والأهداف التافهة التي كانت تحكم الجاهلية وتسودها وتدور بها حول أنانياتها وشهواتها وقدم إليها أرفع الأهداف وأشرف الغايات لقد عبر طرفة بن العبد عن تفاهة أهداف الجاهلية بقوله في معلقته .

ولولا ثلاث هن من شيمة الفتى ... وعيشك لم أحفل متى قام عودي
فمنهن سبقى العاذلات بشربة ... كيت متى ما تعل بالماء تز بد
وتقصير يوم الدجن والدجن متعب ... ببهنكة والخيل لم تتبدد

كما عبر عمر رضى الله عنه عن سمو أهداف الإسلام التي رفعهم إليها النبي ﷺ قال عمر « لولا ثلاث ما باليت أن يصيبني الموت : أن أخضع جنبي بالسجود لله وأن أجالس أقواماً يلقحون ألبابهم بنور الحكمة وسنا الإيمان وأن أجاهد وأجهز الغزاة في سبيل الله » .

ذلك ما أحدثه النبي ﷺ من تحول في أنفس أصحابه بما أمدهم ، من هدى الله ونوره عبر عنه أديب الإسلام ومحامي لغة القرآن السيد مصطفى الرافعي بما أجراه على لسان أرمانوسه بنت المقوقس قالت : « إن هؤلاء الناس هم العقل الجديد الذي جاء ليفرق للدنيا بين الحق والباطل .

وإن نبيهم العظيم لأطهر من السحابة في سمائها .

وإنهم ليعيشون في حدود من دينهم لا من شهواتهم .

لا يسلون السيف إلا بقانون ولا يغمدونه إلا بقانون .

وإن الفتاه ليحق لها أن تخاف على عرضها من أبيها ولا تخاف عليه من أصحاب هذا النبي .

لقد ارتقى الصحابة هذه القمة الشماء من الكمال الإنساني بفضل محمد ﷺ وما أمدهم به من زكاة نفسه وقوة روحه وصدقه ودأبه وصبره على نحو ما وصفه العباس رضى الله عنه بقوله « والله ما كان راعي أبل أو غنم يتبع بها شعف الجبال يخبط لها الشجر بمخبطه أو يمدر لها الحوض بيده بأنصب ولا أدأب من رسول الله ﷺ كان فيكم » .

فلئن أحبه الصحابة هذا الحب الخارق المعجز فأنه ﷺ بذل لهم من نفسه هذا البذل الخارق المعجز فهو حب لم ينشأ من فراغ أو عاطفة عاصفة غير معروفة السبب إنه حب نشأ من أمرين :-

١ - وصلهم بالله وما أذاقهم من حلاوة الإيمان وكرم النفس والهدى والحق .

٢ - وصلهم بشخصه وعنايته بكل ما يتعلق بكل فرد من أصحابه وحرصه عليهم ورحمته بهم . ﴿عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ .

وقد جرى النبي ﷺ على وصلهم بالله بإقام الصلاة وتلاوة القرآن وذكر الله

على كل حال بصيغ تعلمهم ونـزعهم من اعتداد بغير الله فكان ﷺ يقول إذا أصبح « أصحبنا وأصبح الملك لله والحمد لله لا إله إلا هو وإليه النشور » .

ويقول «اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر» وكذلك كان يقول إذا أمسى .

ولا أعلم كلمات تربي الأفراد والأمم على معاني الثقة والقوة وتحررهم من كل معاني الذل وإسـار التبعية مثل هذه الكلمات الجوامع التي كون بمثلها محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس ما سمعت من قبله من قائد أو زعيم عظيم .

« حب المحسن إليك »

لقد أحب الصحابة النبي ﷺ حب المحسن إليهم وصاحب الفضل عليهم وهذا حق وفطرة وخلق ووفاء ومن الثابت المعروف والقول المأثور (جبلت النفوس على حب من أحسن إليهـا) والله تعـالى يقـول ﴿ هل جزاء الإحسـان إلا الإحسان ﴾ . فهذا الحب الغامر المعجز منهم أثر لفضله الغامر المعجز فيهم .

وكما أحسن النبي ﷺ إلى العالم كله بما قدم إليه من منهج هو هدى وحق أحسن إلى الصحابة خاصة بما رباهم عليه وهداهم إليه وما أذاقهم من حلاوة الإيمان وسعة الحياة وأمن النفس وشرف الغاية بحيث صاروا خير أمة أخرجت للناس .

وهذه التربية والهداية كلفتْهُ ﷺ حياته وراحته وجهده وماله فقضي عمرا كله سلسلة من الجهـاد الـدائب والمعاناة الشديدة ومقاومة الكفر والجاهلية وتحدي البغي والعدوان حتى إذا أدركه الموت وقالت ابنته فاطمة رضى الله عنها واكرب ابتاه قال لها « لا كرب على أبيك بعد اليوم » أي انتهت حياة الكروب والحروب والمعاناة وبقي ما نرجو ونؤمل من ثواب الله .

وقد أحس الصحابة فضله ﷺ عليهم وإحسانه إليهم فما منهم من أحد إلا وله في قلب رسول الله ﷺ مكان مأهول وسبب موصول فهو حفي بهم حفيظ عليهم يألم لآلامهم ويأمل بآمالهم كأنه جزء من قلب كل واحد منهم مصداق ما وصفه الله ﴿ رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ .

لقد كان النبي ﷺ فيهم أباً رؤوفاً وأخا رحيما ورسولا كريماً ومربيا حكيما وكان فيهم كأحدهم يجيبهم إذا سألوا ويعلمهم إذا جهلوا ويسددهم إذا أخطأوا يسعهم بسطه وحلمه ووجهه فلا يرى جليسه أن أحدا أكرم عليه منه .

وكان يعود مرضاهم ويشهد جنائزهم ويعول محتاجهم ويصلح ذات بينهم ويشفع في أمورهم وكان ﷺ يقول من ترك مالا فلورثته ومن ترك دينا أو ضياعا فعلينا وإلينا أنا ولي من لا ولي له .

فكيف لا يحبونه ولا يفدونه ولا يكون أحب إليهم من كل حبيب .

حب غالي الثمن

وكيف لا تحب إنساناً أمن خوفك وأصلح بالك وأذهب همك وملأ قلبك ثقة وطمأنينة فأصبحت حرا لا ترهب إلا الله عزيزا لا تذل إلا لقيوم السموات والأرض .

وكيف لا تحب إنساناً أدب لك ولدك وأصلح لك زوجك ووصل لك رحمك وغرس في قلوبهم جميعاً البر بك والإحسان إليك فأمنت بفضله لؤم العقوق وظلم الفسوق وقطيعة الرحم .

وكيف لا تحب إنساناً حفظ لك عرضك ومالك وشرفك وحرماتك واستحفظ كل ذلك المسلمين من حولك والزمهم حمايتك وعلمهم أن «كل المسلم

على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وأن يظن به السوء» وأن «المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يخذله ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه » ما حق هذا المتطوع المتبرع بالدفاع عنك وتحقيق الأمن لك ؟ والسعادة في دنياك قبل آخرتك .

لقد منح النبي ﷺ الصحابة كل هذا الأمن وهذه النعمة والسعة والرحمة لما قدم إليهم هذا الإسلام مشروعاً يضيء الحياة ويحيي القلوب ويملؤها سعادة وسلاما وحبا فلا جرم أن يحبوه وأن يجعلوه مرجعهم في كل أمورهم خاصها وعامها ما سرهم أو ساءهم منها يتيامنون برأيه ويتبركون بشخصه وينزلون عند حكمه .

كان (ص) مرجع كل مسلم

وهو ﷺ لهم ويقضي بينهم ويشير عليهم ويعالج نفارهم ويتألفهم بما يقدم إليهم من ذات نفسه ويده وعواطف قلبه وصادق نصحه الذي غمر الرجال والأطفال والنساء والولدان جميعا يعظهم ويربيهم ويبلغ بإحسانه إليهم ما يبلغ الحب من قلوبهم . وإليك أمثلة هي قطرات من فيض فضله وبره بأصحابه وعنايته بأخص أمرهم ليكون للمسلمين فيها أسوة حسنة .

إطعام الجائع :

روى ابن ماجه عن عباد بن شرحبيل قال أصابنا عام مخمصة (مجاعة) فأتيت المدينة فنزلت حائطا (بستانا) من حيطانها فأخذت سنبلا فركته وأكلته وجعلته في كسائي فجاء صاحب الحائط فضربني وأخذ ثوبي فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال للرجل ما أطعمته إذ كان جائعا ولا علمته إذ كان جاهلا أردد عليه ثوبه ثم أمر لي بوسق من طعام .

تألف الشارد :

وروي عبد الرزاق في مصنفه عن أبي محذورة أنه خرج في فتية من قريش لما توجه النبي ﷺ إلى حنين وهم على شركهم خرجوا يسخرون من المسلمين ويقلدونهم في الأذان ويتضاحكون فرآهم النبي ﷺ فاستدعاهم وطلب من كل فتى منهم أن يؤذن فأعجبه أذان أبي محذورة فمسح على ناصيته وقال « نعم أذان هذا » وجعله مؤذن أهل مكة فترك أبو محذورة ناصيته لم يمسها موسى قط تيمنا بيد رسول الله ﷺ وتحول لفوره من مستهزىء بالمسلمين ودينهم إلى مؤذن نصلاتهم محبٍّ لنبيهم » .

إنها قدرة خارقة في اكتساب القلوب ومحبة الناس تقوم على الرفق والإحسان والرحمة وعلى الإقناع وحسن التوجيه والهداية للتي هي أقوم .

إقناع وتهذيب :

وروي ابن ماجه عن أبي هريرة قال بينما نحن مع رسول الله ﷺ في سفر إذ رأينا إبلا مصرورة بعضاه الشجر « مليئة باللبن مربوطة بالشجر » فثبنا إليها فنادانا رسول الله ﷺ فرجعنا إليه فقال إن هذه الأبل لأهل بيت من المسلمين هي قوتهم ويمنهم بعد الله .

أيسركم لو رجعتم إلى مزاودكم فوجدتم ما فيها قد ذهب به ؟ أترون ذلك عدلا قالوا لا قال فإن هذا كذلك . فانتهوا عن حلبها .

تأديب الأطفال :

وروي أيضا عن رافع بن عمر الغفاري قال كنت وأنا غلام أرمي نخلنا أو قال نخل الأنصار فأتى بي النبيﷺ فقال ياغلام يابني لم ترمى النخل ؟ قال آكل

قال فلا ترم النخل وكل مما يسقط في أسافلها قال ثم مسح رأسي وقال اللهم أشبع بطنه » .

أية قضية هذه حتى ترفع إلى النبي ﷺ إلا أن يكون أبا لكل غلمان المدينة ؟

وأي رفق هذا ورقة تؤثر في نفس الوليد ما لا يؤثر الزجر أو الوعيد ؟

إنه محمد ﷺ ﴿ عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ .

مستشار الجميع :

كذلك كان النساء يستشرنه في خاص أمورهن وعامها فيشير عليهن بما فيه مصلحة لهن وخير ، روى أبو داود أن فاطمة بنت قيس سألته لما خطبها أبو جهم ومعاوية أيهما تزوج فقال أما معاوية فصعلوك وأما أبو جهم فضراب لا يضع عصاه عن عاتقه أنكحي أسامة بن زيد وكذلك فعلت امرأة أبي قيس بن الأسلت كما روى المفسرون .

تحديد الثمن :

وسألته أم بني أنمار قالت يارسول الله إني امرأة أبيع وأشتري فإذا أردت أن أبتاع الشيء سمت أقل من الذي أريد ثم زدت ثم زدت حتى أبلغ الذي أريد ، فإذا أردت أن أبيع الشيء سمت به أكثر من الذي أريد ثم وضعت حتى أبلغ الذي أريد ، فقال رسول الله ﷺ لا تفعلي ياقيله .

إذا أردت أن تبتاعي شيئا فاستامى به الذي تريدين أعطيت أو منعت .

وإذا أردت أن تبيعي شيئا فاستامى به الذي تريدين أعطيت أو منعت .

رواه ابن ماجه .

نصح وتربية للرجال والنساء والأطفال على سلوك مناهج الجد والقصد وترك اللغو وفضول القول ألا يستحق هذا المربى والمرجع في كل شيء أن يحب ؟

لقد أحبوه حبا بلغ حدا يقف دونه الوصف ويرونه أجمل شيء وأعظم شيء يتبركون بشعره وعرقه ومس يده وفضل وضوئه وهو جدير بكل إعزاز وحب وتقدير .

أجمل شيء :

روى البخاري عن البراء بن عازب قال رأيته ﷺ في حلة حمراء فلم أر شيئاً أحسن منه .

وروى البخاري عن البراء بن عازب وقيل له أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف قال لا بل مثل القمر .

وروى البخاري عن الربيع بنت معوذ وقيل لها صفى لنا رسول الله فقالت كان مثل الشمس طالعة .

إنه جمال الروح وسنا الكمال والفضل يتألق ويعم حتى يتراءى لصحبه كأنه ضياء الشمس ونور القمر .

الرحمة بالعيال :

روى مسلم عن أنس قال ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ .

وروى البخاري في الأدب المفرد عن أنس أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان النبي ﷺ يفعله .

وروى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمره قال صليت مع النبي ﷺ صلاة الأولى (الظهر) ثم خرج إلى أهله فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدى

أحـدهم واحدا واحدا وأما أنا فمسح خدي قال فوجدت ليده برداً وريحا كأنما أخرجها من جؤنة عطار .

رقة ورحمة يفيض بها قلبه ﷺ .

عنايته صلى الله عليه وسلم بأمر أصحابه :

روى البخاري عن جابر أنه جاءه يهودي عند الجذاد (الحصاد يطلب دينا) فاستنظره جابر فرفض فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لأصحابه امشوا نستنظر لجابر وذهب إلى اليهودي يستنظره إلى ميسرة فلم يرفع بذهابه ﷺ رأسا وغلب عليه حقده ولؤمه فرفض فأمر النبي ﷺ جابرا بجذاد نخله ، ودعاله وبرك عليه فوفى دينه وبقى له من جذاده شيء عظيم . لقد بلغ النبي ﷺ أن أحد أصحابه في هم بدينه وضيق فاهتم به وراح يستنظر له ولو كان عنده ما يؤدي عنه لفعل إذن لم ينشأ حب الصحابة للنبي ﷺ من فراغ ولكن من إحساس كل واحد منهم بفضله عليه رعايته وعنايته وأنه من ورائه يحبه ويحمل همه وهو ﷺ رحمة الله للعالمين .

وقد حدثني أحد الصالحين أنه لما ذهب إلى المدينة لزيارة المسجد النبوي رأى نورا ينبعث من الروضة أشعة كالحبال كل شعاع منها كأنه سلك واصل لقلب كل مسلم وهذا حق وتصور صادق وهو سر المسارعة إلى طاعته ﷺ والتفاني في محبته .

روى الإمام أبو داود عن أبي جرى جابر بن سليم الهجيمي قال رأيت رجلا يصدر الناس عنه لا يصدرون إلا عن رأيه فسألت عنه فقيل لي هذا رسول الله فأتيتـه فقلت عليك السلام فقال عليك السلام تحية الموتى قل السلام عليكم فقلت أنت رسول الله .

فقال أنا رسول الله الذي إذا كنت في ضر فدعوته فرجه عنك .

وإذا كنت في عام سنة فدعوته أنبتها لك .

وإذا كنت في قفر أو فلاة وضلت راحلتك فدعوته ردها عليك .

قلت اعهد إلي .

قال لا تسبن أحداً .

قال فو الله ما سببت بعدها حرا ولا عبدا ولا شاة ولا بعيرا .

ثم زاده ﷺ أمورا أسرع لتنفيذها والتزامها .

إن هذه المسارعة وهذا التحول المفاجىء دليل على الثقة والحب وعلى ما كان يتمتع به النبي ﷺ من كمال وفضل استحق بهما محبته وطاعته والتعلق به والتماس بركته .

التبرك به صلى الله عليه وسلم :

روى ابن ماجه عن كبشة الأنصارية أن النبي ﷺ دخل عليها فشرب من قربة معلقة فقطعت فمها تبتغي بركة موضع فمه .

وروى البخاري عن أبي جحيفة قال رأيت النبي ﷺ فجعل الناس يأخذون بيديه فيمسحون بها وجوههم .

وروى البخاري عنه أيضا قال رأيت بلالا أخذ وضوء رسول الله ﷺ ورأيت الناس يبْتدرون ذلك الوضوء (كل يريد أن ينال منه جرعة أو مسحة) .

وروى البخاري عن أنس أن النبي ﷺ لما حلق شعره كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره وفي رواية أحاط به أصحابه ما تقع شعرة إلا في يد رجل .

وروى مسلم عن أنس أن ولائد الأنصار كن يأتين رسول الله ﷺ في الغداة الباردة بأوعية الماء فيغمس يده فيها .

توجيه الحب إلى العمل الصالح

ومع ذلك فقد كان النبي ﷺ يوجه هذا الحب إلى ما ينفع ويرفع ويلزم أصحابه العمل والجد والقصد وعدم الغلو في شخصه ﷺ .

روى مسلم عن أبي قراد السلمي أن النبي ﷺ دعا بوضوء فتوضأ فأقبل أصحابه يبتدرون وَضوءه ويتنافسون في الإصابة منهُ فسألهم عن سبب ذلك فقالوا محبتك ورجاء بركتك يارسول الله .

فقال ﷺ إن كنتم تحبون الله ورسوله أو أردتم أن يحبكم الله ورسوله فاصدقوا إذا حدثتم وأدوا إذا ائتمنتم واحفظوا جوار من جاوركم .

أي كمال هذا وأي مستوى من الرفعة والإنسانية يريد أن يرفع إليها أحبابه وأتباعه ؟ إن البطل لا يحب إلا الأبطال والكريم لا يحب إلا الكرماء .

وحب محمد ﷺ لا يكون بمجرد التبرك به أو الاكثار من الصلاة والسلام عليه وإنما بمتابعته واحتمال أمانته والسير على نهجه فبذلك يكون حبه وتنال بركته .

النهي عن الغلو في شخصه

روى البخاري عن الربيع بنت مسعود النجارية أن النبي ﷺ زارها غداة بنى بها . فجعلت جُويريات من بني النجار يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر إذ قالت إحداهن وفينا نبي يعلم ما في غد فقال لها ﷺ دعي هذا وقولي بالذي كنت تقولين .

وجاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله .

وجاء في السيرة أن رجلا دخل على النبي ﷺ فأرعد فرقا وهيبة منه ﷺ فقال له ﷺ هون عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكه .

ولما كسفت الشمس غداة مات ابنه ابراهيم وقال الناس كسفت لموته خطبهم ﷺ وقال إن الشمس والقمر آيتان لا تكسفان لموت أحد ولا لحياته ودعاهم إلى ذكر الله والصلاة .

فأي كمال وصدق وتجرد لله والحق اختص به هذا النبي فكان معجزة أخلاقية وأي حب هذا الذي أحبه الصحابة للنبي ﷺ فكان معجزة لم يقع مثلها لأحد قبله أو بعده .

روى أبو داود الطيالسي في منحة المعبود عن عمران بن حصين قال كنا إذا قدمنا من سفر لم نأت أهلنا حتى نأتي رسول الله وننظر إليه .

وروى عن نافع عن ابن عمر أن رجلا جاءه فقال ياأبا عبد الرحمن أنتم نظرتم إلى رسول الله ﷺ بأعينكم هذه ؟ قال نعم قال وكلمتوه بألسنتكم هذه ؟ قال نعم . قال وبايعتوه بأيمانكم هذه ؟ قال نعم . قال طوبى لكم ياأبا عبد الرحمن قال أفلا أخبرك عن شيء سمعته منه ؟ سمعته يقول طوبى لمن رآني وآمن بي (مرة) وطوبى لمن لم يرني وآمن بي (ثلاثاً) .

وروى ابن ماجه عن محمد بن المنكدر قال دخلت على جابر بن عبد الله وهو يموت فقلت اقرأ على رسول الله السلام أتراه يبشره أم يهون عليه سكرات الموت بذكر القدوم على الحبيب ؟ فكذلك فعل بلال وهو يجود بروحه لما قالت زوجه وامصيبتاه قال بل قولي واطرباه غدا ألقي الأحبة محمدا وصحبه ، اللهم صل على محمد وآله وأصحابه واجعلنا من أوليائه وأحبابه وسلم تسليما كثيرا .

الحواشـــي

(١) رواه البخـاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن ، الحديث (٤٩٨١) ، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان .

(٢) رواه الترمذي .

(٣) الأعراف : الآية ١٣٨ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه - مع الفتح - كتاب فضائل الصحابة .

(٥) من المفارقات العجيبة التي تذكر للمناسبة فقط ما تنسبه التوراه المزعومة كذبا لموسى عليه السـلام في سفـر الخـروج أنـه أمـر بني اسرائل عند هجرتهم وخروجهم من مصر أن يستعيروا حليا ذهبا وفضة وثيابا من جيرانهم المصريين ثم خرج بهم ليلا وغدرا وسلبوا المصريين (إصح ٣) .

(٦) الضحى .

(٧) سيرة ابن هشام .

(٨) مجلة الأزهر في مقال لفريد وجدي .

(٩) الحلية لأبي نعيم .

(١٠) الأنعام : الآية ١٢٢ .

(١١) آل عمران : الآية ١٦٤ .

(١٢) التوبه : الآية ٣٣ .

(١٣) الحجرات : الآية ١٠ .

(١٤) ابن ماجه .

(١٥) رواه البخاري من حديث عدي بن حاتم .